مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٠: ١–١٠)

يا إخوةُ إنَّ بغيةَ قلبي وابتهالي إلى اللهِ هما لأجلِ إسرائيلَ لخلاصِه* فإنّي أشهدُ لهم أنَّ فيهم غَيرةً للهِ إلاَّ أنَّها ليست عن معرفةٍ* لأنَّهم إذ كانوا يجهلونَ بِرَّ الله ويطلبون أن يُقيموا بِرَّ أنفسِهم لم يخضعوا لبِرّ الله* إنَّما غايةُ الناموسِ هي المسيحُ للبِرِّ لكلِّ مَن يؤمن* فإنَّ موسى يصِفُ البرَّ الذي من الناموسِ بأنَّ الإنسانَ الذي يعملُ هذه الأشياءَ سيحيا فيها* أمَّا البِرُّ الذي من الإيمانِ فهكذا يقولُ فيه لا تقُلْ في قلبِك مَن يصعَدُ إلى السماءِ. أي ليُنزل المسيح* أو مَن يهبِطُ إلى الهاوية. أي ليُصعِدَ المسيحَ من بين الأموات* لكن ماذا يقول. إنَّ الكلمةَ قريبةٌ منكَ في فمكَ وفي قلبكَ أي كلمةَ الإيمانِ التي نبشِّرُ نحن بها* لأنَّك إنِ

المسيح غاية الناموس

في المقطع من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية (١٠: ١–١٠) الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم، تشديد على موضوع الإيمان بالقلب بالرب يسوع المخلّص، والإعتراف به بالفم بالإستقلال عن الناموس الذي ليس سوى وسيلة لنصل به إلى المسيح. ويشير الرسول إلى أن غيرة المؤمن لله قد تُضِلّ طريقه إن لم تكن عن معرفة. فقد يستعمل المؤمن الناموس ليضع قانوناً خاصاً به، مبتعداً عن الله الذي يبرّره، أي يجعله بلا عيب أمامه.

الغاية عند الرسول بولس هي الخلاص، الذي هو تحرّر من سلطة الخطيئة التي تُثمر موتاً، وبالتالي الخلاص من سلطة الموت، وبالمقابل قبول يسوع المسيح ربًّا أي سيّداً علينا، والخضوع لسلطته التي تثمر حياةً أبدية.

المشكلة عند اليهود الذين كانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، ومن بعدهم المسيحيين الذين كانوا من أصل يهودي، أنهم اعتبروا أن الإيمان بالرب يسوع لا يكفي للخلاص، بل على المؤمن أن يخضع للناموس، أي أن يطبِّق الناموس، وخاصة الختان وحفظ السبت، والتقيّد بتقاليد الشيوخ. هذا الأمر جعلهم يضلّون إذ اعتبروا أن الناموس هو غاية بحد ذاته، وهم بهذه الطريقة أهم من الرب يسوع نفسه. ويعيد الرسول بولس ذلك إلى جهل الشعب لطرق الله. لكن الخطر يكمن في أن هذا الأمر يؤدي إلى وضع الإنسان لشروطه الخاصة وفرضها على الله نفسه وعلى الذين يتبعون هذه الطريق. ويحسم الرسول الأمر معتبراً أن «غاية الناموس هي المسيحُ للبِرِّ لكلِّ مَن يؤمن» (١٠: ٤)، وهو مرشدنا إلى المسيح: «ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مُغلَقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن. إذاً قد كان الناموس مُؤدّبنا إلى المسيح لكي نتبرَّر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعدُ تحت مُؤدّب، لأنَّكم جميعاً أبناءُ الله بالإيمان بالمسيح يسوع» (غلا ٣: ٢٣–٢٧).

هذا الإيمان لا يفترض جهداً جباراً منا، بل يقتضي إيماناً في القلب بما

العدد ٢٠١٠/٢٦

الأحد ٢٧ حزيران

تذكار أبينا البار شمشون ضائف الغرباء

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الخامس

اعترفتَ بالربِّ يسوعَ وآمنتَ بقلبِكَ أنَّ اللهَ قد أقامهُ من بين الأمواتِ فإنَّك تخلُصُ* لأنَّه بالقلبِ يؤمَن للبرّ وبالفمِ يُعترفُ للخلاص.

الإنجيل

(متى ٨: ٢٨–٣٤؛ ٩: ١)

في ذلك الزمان لمَّا أتى يسوعُ إلى كورَةِ الجُرجُسيينَ استقبلَهُ مجنونانِ خارجانِ من القبورِ شَرِسانِ جدًّا حتى إنَّه لم يكن أحدٌ يقدِرُ أن يجتازَ من تلك الطريق* فصاحا قائلَيْنِ ما لنا ولك يا يسوعُ ابنَ الله. أَجِئتَ إلى ههنا قبل الزمانِ لِتُعذِّبنا* وكان بعيداً منهم قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ ترعى* فأخذ الشياطينُ يطلبون إليه قائلينَ إن كنتَ تُخرجنا فائْذَن لنا أن نذهبَ إلى قطيعِ الخنازير* فقال لهم اذهبوا. فخرجوا وذهبوا إلى قطيعِ الخنازير. فإذا بالقطيعِ كلِّهِ قد وثبَ عنِ الجُرفِ إلى البحرِ ومات في المياه* أمَّا الرُّعاةُ فهربوا ومضَوا إلى المدينةِ وأخبروا بكلّ شيءٍ وبأمرِ المجنونَين* فخرجتِ المدينةُ كلُّها للقاءِ يسوعَ. ولمَّا رأوهُ

حقّقه الرب لأجل خلاصنا: «لأنَّك إنِ اعترفتَ بفمِكَ بالربِّ يسوعَ وآمنتَ بقلبكَ أنَّ اللهَ قد أقامهُ من بينِ الأمواتِ فإنَّك تخلُصُ، لأنَّه بالقلبِ يؤمَن للبرِّ وبالفمِ يُعترفُ للخلاص» (١٠: ٩–١٠).

هذا الإيمان غير مرتبط البتة بالناموس، ولكنه ليس إيماناً مطلقاً. فالذي يؤمن بالرب يسوع يخضع لناموس المسيح الذي هو المحبة: «قد تبطّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس. سقطتم من النعمة. فإننا بالروح من الإيمان نتوقَّع رجاءَ برٍّ لأنّه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة» (غلا ٥: ٤–٦). وهذا الإيمان نفسه يزرعه الله في قلبنا ويمنحه إيانا «هبة»، نعمة، أي إنه لا يعطيه لنا نتيجة جهد نقوم به: «الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة من أجل محبّته الكثيرة التي أحبَّنا بها ونحن أمواتٌ بالخطايا أحياناً مع المسيح... لأنَّكم بالنعمةِ مخلّصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله. ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد، لأنَّنا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ٤، ٨–١٠).

من هذا المنطلق، ومن قراءتنا لهذا الفصل اليوم علينا التنبّه إلى خطر إضاعة الهدف. فإنَّنا إذا كنا نضع لأنفسنا بعض القوانين والأنظمة التي تساعدنا في حياتنا الروحية، علينا أن ننظر باستمرار إلى غاية حياتنا الذي هو الرب يسوع الذي وضع لنا قانوناً واحداً هو قانون المحبَّة؛ محبَّة الله ومحبَّة القريب كالنفس. لا شك أننا كبشر بحاجة لقوانين وأنظمة بشرية لأن ذلك يذكّرنا دائماً بواجباتنا وطريقة سلوكنا في هذا العالم، إلاَّ أن ذلك ليس سوى وسيلة للوصول إلى تحقيق محبّتنا لله وللناس. فالصوم مثلاً وقوانين الصلاة وقوانين التوبة التي وضعها الآباء القديسون والكنيسة ليست غاية بحد ذاتها، بل هي وسيلة للوصول إلى لقاء الرب يسوع الذي أحبّنا وبذل نفسه لأجلنا.

أجئت إلى ههنا لتعذِّبنا؟

«ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟ أجِئتِ إلى ههنا قبل الزمانِ لتعذِّبنا»؟ إن الإنسان يشعر دائماً أنه يتعذَّب وحيداً وأن عذابه هو أشد عذابات أهل الأرض. قضية العذاب قضية وجوديّة تطالنا في صميم أنفسنا، وعلينا التعاطي معها، شئنا أم أبينا. هذا الواقع يشكّل بالنسبة للمؤمن نقطة تساؤل حول علاقته بالله وموقع الله وموقفه من عذابات المؤمن. لماذا يصمت الله في أوان الشدّة؟ وهل هو فعلاً موجود ليستجيب؟ ولماذا يسمح الله بعذاب محبّيه؟

هذا النوع من الأسئلة لا يوصلنا إلى جوابٍ شافٍ، لأن كل نزاع داخلي يرتّب علينا أن نسائل أنفسنا بدل أن نسائل الله، لنبلغ الحل. السؤال الذي يمكننا طرحه هو: هل لي أن أتبنى عذابي وأقبل به كأحد عناصر حياتي أم أن أرفضه؟ ومتى بلغنا الخيار الحرّ يزول قلقنا ونستكين.

في نزاع الألم الأخير في بستان الزيتون أعطانا يسوع مثالاً حياً لنحذو حذوه. قال: «يا أبتاه إن شئتَ

طلبوا إليه أن يتحوَّلَ عن تخومهم* فدخل السفينةَ واجتازَ وأتى إلى مدينته.

تأمل

ينبغي لنا أن نسمع أقوال ربنا ونحافظ على العمل بها مسرورين ونكمل أصوامنا وصلواتنا لكي يكلّلنا بالمواهب الفاضلة ويطرد عنا الشياطين. إذا رأى سيدنا له المجد طهارة نفوسنا وانسحاق قلوبنا يحفظنا من الشوائب المضرَّة ويدفع عنا المضادّين ويفيض علينا مواهب الروح بغزارةٍ ويُعِدُّ لنا سعادة النعيم. وإذا كان الناهض منا والطالبُ لأعمال الفضائل واحداً وهو العقل والمضادُّون له كثيرين ينبغي لنا أن نتيَّقظ دائماً ونتقلَّد بأسلحتنا ونتحفَّظ من أعدائنا ونمتحن كل ساعةٍ أعمالنا وننظر هل أعمالنا الصالحة أرجح أم أعمالنا الرديئة ونتشبَّه بذلك الإنسان الفاضل الذي لما كثرت عليه الزلّات وتعب من جهاد الشياطين صار يضع كلَّ يومٍ قفتين احداهما عن يمينه والأخرى عن يساره، فكلما عرض له فكرٌ صالحٌ يضع حجراً في التي عن يمينه أو فكرٌ رديءٌ يضع حجراً في التي عن يساره. وفي آخر النهار يعدُّ ما في القفتين أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو ٢٢: ٤٢). لقد جعل السيد من اتحاد مشيئته بمشيئة الآب حلاً قاطعاً للعذاب الذي كان يقاسيه. كيف ذلك؟ اتحد مع الآب في ألمه. أدخل الآب في ألمه ودخل هو في سكون الآب وراحته.

بمعنى آخر، عذاب الإنسان وشدائد حياته يلقيهما على الله متى يلقي بنفسه في الله ليدخل في راحته. «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متى ١١: ٢٨). ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن الله حاضر في أوقات الألم والمصاعب والشدائد لا بقربنا فقط بل في داخلنا، منتظراً منا أن ندعوه ليحمل عنا آلامنا لا أن نحاسبه على سبب وجودها. مَن يفهم العذاب هكذا يدرك المعنى العميق للحرية. حرية أن يقبل حضور الله فيه فيلقي عليه كل ألمٍ وتعب ووجع أو أن يصارع وحيداً ويستقرّ في القلق واليأس.

هذا الإستسلام لمشيئة الله المطلقة هو اعتراف بوجود الله، وهو اعتراف عقلي وقلبي بمحبته غير المتناهية التي تحمل الإنسان برفق وحنان كما الفتية في أتون النار والريح النديّة تلفحهم. هذا الارتماء في أحضان الله، ليس خروجاً للإنسان من واقع مؤلم، بل جعل الله شريكاً في آلام الإنسان. ومتى اقترب الله من عذاب بنيه فهو يُروّض العذاب، يجعله أقل إيلاماً، يعطينا الصبر والقوة والتعزية لتحمّله إن شاء، ويزيله إن شاء. في كل حال لا يُبقينا في ظلال الموت وظلمته بل يُدخلنا في قيامة حقيقية وشخصية نتذوقها الآن وهنا، لأننا نستحضر ملكوت الله إلى وادي الشقاء ونصبح هياكل لله لا بل ملكوتاً لأن الله فينا يستقر ويستريح.

قبولنا الألم والعذاب والشدة، (وهذا لا يعني السعي وراء العذاب)، يوازي قبولنا لرحمة لله أو رفضنا لها. الله لا يستجيب لصوت صراخنا في أوقات الشدائد عندما ننظر فقط إلى واقعنا. هو يدعونا في أوان الشدّة أن ننظر إليه، أن نُقبل إليه وحده. المسألة هي أن أنسلخ عن الله وأستقر في الشدّة أو أن أتحد بالله من خلال قبولي الشدة ثم رفعها قرباناً لمجده. الإبن صار ذبيحة قبل أن يدخل في مجد أبيه. حمل صليبه وألمه والهزء والتقريع ليجعل الصليب عرشاً للمجد لأنه صار موطئ قدمي يسوع.

الكنيسة تحمل وجع وشدّة كل إنسان، لأن كل إنسان هو عضو في جسد يسوع. ألم كل واحدة وكل واحد منا هو ألم الجميع لأنه ألم يسوع. هذا لا يعالج بالإشفاق والعواطف، لأنها مشاعر بشرية لا تشفي، بل نرفعه جميعاً ذبيحة حيّة تتحد بذبيحة حمل الله الرافع أوجاع البشر. بهذا تصبح الإفخارستيا حَدَثاً شخصياً في حياتنا، بمعنى أنها لا تبقى فقط عملاً خارجياً عن كينونة كل منا بل أمراً يعنينا في صميم حياتنا. لذلك نحن نذكر مَنْ كان في الألم والمرض والشدّة على مذبح الله مع الحمل ووالدة الإله والقديسين. عملياً نحن نلقيه على مذبح الله لنُتحده به، حتى متى صارت هذه الوحدة واقعاً يأخذ عنه السيد كل حزن ووجع ويمسح عن وجهه كل دمعة.

في حضور المسيح في سرّ الإفخارستيا، تحمل الكنيسة في جسدها المتألم ألم الجميع وتنتظر على الرجاء انعتاق الجميع من

من الحجارة. فإن زاد عدد الأفكار الصالحة على الأفكار الرديئة يستبشر بالانتصار على عدوِّه المجرّب له. وإن زاد عدد الأفكار الرديئة يكلف نفسه الصوم الطويل والأتعاب الشديدة ويمنعها من الغذاء والرقاد والراحة. وما زال مواظباً على هذا العمل حتى صار لا يجد في قفّة الأفكار الرديئة ولا حجراً واحداً. هكذا ينبغي لنا أن نحاسب ذواتنا ونتأمَّل في أفكارنا ونجعل على آذاننا أقفالاً مانعة عن سماع الأقاويل المضرَّة للنفس، ونضع حرَّاساً على ألسنتنا تمنعها عن الكلمات الشريرة، ورُقباء لأفكارنا تنبّهنا على ما لا ينبغي لكي نخرجه من ذواتنا. وقبل ذلك كله يجب علينا أن نعرف مقاصد أصوامنا لكي لا نكون كالتائهين في البحر. فإن قلت ما هو الصوم في الحقيقة وهل هو غير الإمتناع عن الطعام، قلت ان الصوم هو الإمساك عن جميع الرذائل والتمسُّك بكل الفضائل، وأن تقطع أربطة الظلم وتبتعد عن المكر والغش... فإن فعلت ذلك فسيُشرق نورك في الظلمة ويظهر برُّك سريعاً وينفجر ضياؤك مثل الصبح ويدبّرك الله تدبيراً صالحاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

فساد الطبيعة البشريّة الخاطئة وتَسَلّطِ الموت عليها. الإنسان المتألّم هو كائن إفخارستي. إفخارستي بمعنى أنه عضو متحد بجسد يسوع الذي يجعله ذبيحة فيرفع عنه غربة الخطيئة. وهو إفخارستي (إفخارستيا تعني الشكر) بمعنى أنه يرى في الشدَّة سبباً لشكر الله الذي ينزع عنه كل فساد ويلبسه حلّة المجد. ولا شيء يوازي الله في مجده، في ملكوته.

الشدَّة والحزن والألم والمصاعب هي مقتنياتنا في أرض الغربة. هي علامة فقرنا وضعفنا مهما كان غنانا ومهما كانت قوتنا بحسب مقاييس هذا الدهر. هي جحيمنا مهما كنا في رخاء. من يُسرع نحو الرب ليلقي عليه أحماله سيكتشف أن الله كانٍ واقفاً عند باب قلبه يقرع منتظراً أن يفتح له باب حياته ليكلّلها من فيض بركاته بمجد سماوي لا يوصف ولا يزول. «أَلقِ على الرب همّك فهو يعولك. لا يَدَعُ الصِديق يتزعزع إلى الأبد» (مز ٥٥: ٢٢).

من أقوال الآباء

لا تعلّم أحداً شيئاً لم تقتبسه أنت حتى لا تسبب الخزي لنفسك فتنفضح سيرتك ويظهر كذبك. وإذا كانت هنالك ضرورة للكلام، تكلم كما لو كنت من صنف التلامذة وليس بوقاحة كمن له سلطانٍ، وحاكم نفسك قبل كل شيء وَدِنْها وأظهر ذاتك أدنى ممّن توجّه الكلام إليه.

حسنٌ أن تعلّم الناس صلاح الله وتجذبهم إلى البقاء في عنايته وتنقلهم من الضلال إلى معرفة الحق. لكن إذا ظلَّ الإنسان يشعر في نفسه انَّ بصيرته تضعف ويتشوش صفاؤها، وأن معرفته تظلم لما يحتاجه عقله من حرصٍ وحواسه من إخضاع، فلا شك أنه يفقد صحته إذا ظلّ ساعياً وراء معالجة الآخرين، ويخرج عن حرية إرادته مؤدّياً بذاته إلى تشويش ذهنه، فليتذكر هذا الإنسان قول الرسول الذي ينصح الكاملين بأكل الطعام القوي (عب ٥: ١٤)، وليرجع إلى الوراء كي لا يسمع منه ما معناه: «يا طبيب طبّب نفسك» (لو ٤: ٢٣)، وليدِن نفسه ويحافظ على سلامة صحته، وبدل تعاليمه الشفوية (المحسوسة). فليسلك سيرة صالحة، وبدل الأصوات الخارجة من فمه فليكن العمل هو معلّمه، وإذا شعر بنفسه انها أصبحت معافاة، فليقدّم عندئذ المنفعة والصحة للآخرين من خلال صحته هو. لأنه متى كان بعيداً عن الناس يستطيع أن يُحسن إليهم بغيرة أعماله الصالحة أكثر من أن يُحسن إليهم إذا كان مريضاً ومحتاجاً إلى العلاج أكثر منهم. «لأنه إذا قاد الأعمى أعمى يقعان كلاهما في حفرة» (متى ١٥: ١٤).

القديس إسحق السرياني

جناز الكهنة

ككل سنة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي لراحة نفوس إكليريكيي الأبرشية الذين رقدوا بالرب، عند الساعة التاسعة والنصف من صباح الأحد ٤ تموز ٢٠١٠ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

وستُقدَّم الذبيحة الإلهية أيضاً في كافة كنائس الأبرشية عن راحة نفس كافة الإكليريكيين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb